بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة و المعرفة

المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية
الأردن- ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة و المعرفة

المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية
الأردن- ٢٠٠٩

الوحدة الأولى

الحقيقة والمعرفة
(مقدمة لأصول الفلسفة)

وحدة الفلسفة في منهاج الثقافة العامة للمرحلة الثانوية في وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية، منذ عام ٢٠٠١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال **الله** تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ سورة يوسف، ١٢: ٧٦.

إن فرع الفلسفة الذي يعنى بالمعرفة والحقيقة، وكيف نتوصل إلى المعرفة يسمى نظرية المعرفة (Epistemology) وهي أصل الفلسفة وأساس معرفة العلوم كلها، وبالتالي تتقدم على العلوم الطبيعية، لأن فهم طبيعة المعرفة يتقدم على معرفة أمور بعينها. وهي بطبيعتها موضوعاً ليس سهلاً (مع أننا فيما يلي سنبسطه قدر الإمكان).

ولكن قبل أن نبحث نظرية المعرفة، يجب أن نتساءل عن ماهيتنا، وعما هو الإنسان أصلاً، لأن من غير المعقول أن نتساءل عن شيء في الإنسان قبل أن نعرف ما هو لإنسان أولاً.

النتاجات العامة للوحدة

يتوقع من الطالب في نهاية الوحدة أن يكون قادراً على أن:

- يوضح المفاهيم والمصطلحات، ويتمثل القيم والاتجاهات ويتقن المهارات الواردة فيها.
- يتعرف العناصر الرئيسة التي يتكون منها الإنسان.
- يتعرف أجزاء النفس البشرية.
- يبين المصادر الرئيسة للمعرفة.
- يفسر أسباب اختيار الإنسان خليفة لله في الأرض.
- يوضح طرق المعرفة الروحية.
- يعدد الشروط الواجب توفرها في الرؤيا الصالحة.
- يميز بين الرؤيا والاستخارة.
- يفرق بين الأحلام والرؤى.
- يُفند آراء الفلاسفة القائمة على الشك ويبطل دعواتها.

- يوازن بين درجات الدين ودرجات اليقين.
- يوضح نماذج المعرفة الرئيسة العلوية، والأكيدة، والتجريبية.
- يعطي أمثلة نماذج المعرفة الرئيسة.
- يوضح المعالم البارزة التي تميز العلوم الإسلامية.
- يوازن بين محاسن ومساوئ العلم الحديث.
- يعطي أمثلة على مساندة القواعد المنطقية للعلوم التجريبية.
- يعطي أمثلة أخرى على إبطال القواعد المنطقية للعلوم التجريبية.
- يتعرف تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الغربية.

الدرس الأول
الإنسان، ما هو؟

يتكون الإنسان من ثلاثة عناصر: الروح والنفس والجسم. ويوجد كل منها في عالم خاص لكنها مترابطة.

أولاً: الجسم (أو الجسد)

كل امرىء يعرف الجسم ويشعر به ويستخدمه. إنه الجزء الحي والمادي والحيواني للإنسان. إنه جزء الإنسان الذي يتنفس، ويأكل، ويتحرك ويمكّنه من الحياة في الكون المادي الذي يسمى في الإسلام «عالم الشهادة» إنه أيضاً الجزء الفاني في الإنسان الذي يمرض، ويهرم، ويموت. فالموت الجسدي بالتأكيد ما هو إلا دمار الجسم وانفصاله عن نفس الإنسان وروحه؛ ويذكر القرآن الكريم أن نفس الإنسان قد تتأثر تأثراً ما، قال عز وجلّ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ آل عمران، ٣:١٨٥.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ سورة المؤمنون، ٢٣:٩٩ – ١٠٠.

ثانيًا: النفس

إن نفس الإنسان هي الإنسان على الحقيقة، وشخصيته الخاصة التي تجعل منه فرداً مميزاً.

ونفس الإنسان خالدة أيضاً. وقال أفلاطون[1] (الفيلسوف اليوناني الكبير (٧٢٤-٧٤٣ق.م)، «إنها تبقى بعد موت جسم الإنسان». وهي بالتالي أسمى من الجسم، تماماً كما أن العالم الذي توجد فيه أسمى من العالم المادي، والبعض يسمي هذا العالم البرزخ كما هو وارد في الآية الكريمة: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة المؤمنون، ٢٣:١٠٠.

وقد صوّر كثير من العلماء صلتها بالجسم كصلة الملك بمملكته. فهي تتحكم بالجسم، وتتخذ قراراته، وتفكر عنه، وتبقى على صلة معه (كشاهد داخلي)؛ ويقول علماء المالكية أنها مشتبكة بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر، ويقول ابن سينا أنها قد نزلت من عالم السماء لتدبير هذا الجسد، وله قصيدة عينية شهيرة بدأها بقوله: هَبطت إليكَ من المحل الأرفع ...إلخ.

بالنسبة للدين الإسلامي فإن للنفس ثلاثة أنواع أو حالات رئيسية:

---

(١) محاورات أفلاطون، فيدون، (٢٤٥).

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ سورة يوسف، ١٢: ٥٣، ﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ سورة القيامة، ٧٥: ٢، ﴿ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ سورة الفجر، ٨٩: ٢٧.

أما (النفس الأمّـارة بالسوء) و (النفس اللّوامة) فيتصارعان داخل الإنسان من أجل تسييره نحو الشر والخير. ويشبّه أفلاطون صراعهما بحصانين يتعاركان لجر عربة في اتجاهين مختلفين:

«وبالنسبة لخلود النفس، إذن، فقد قلنا ما يكفي، وأما بالنسبة لطبيعتها فهي تشبه اتحاداً قوياً لجوادين مع سائقهما في عربة إنهما جوادان يتحكم بهما سائقهما؛ وفضلاً عن ذلك، فإن أحد الجوادين نبيل ومن أصل وعرق طيب، في حين أن الجواد الآخر يتصف بعكس صفات الجواد الأول وعرقه. وبالتالي، فإن مهمة السائق الذي أشرنا إليه هي صعبة وشائكة [٢]».

فالسائق هو رمز للنفس المطمئنة، إلا أن النفس المطمئنة لا تصبح مطمئنة ولا ترجع إلى ربها ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ سورة الفجر، ٨٩: ٢٨، حتى تتغلب النفس اللوامة على النفس الأمّارة بالسوء، أو كما يقول أفلاطون: «حتى يتخلى الحصان السيئ عن شهواته»[٣] ويطيع سائق العربة. وعندئذ تظهر الأخلاق الموجودة في النفس بشكل طبيعي، فتدخل

(٢) المصدر نفسه؛ ص (٢٤٦).
(٣) المصدر نفسه، ص(٢٥٥).

الجنة ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ سورة الفجر، ٨٩: ٣٠. ويقول **الله** تعالى:﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ سورة النازعات، ٧٩: ٤٠-٤١.

علم النفس الحديث يعترف أن للنفس ثلاثة أجـزاء، كل جزء يشكّل قوة توازي الأخرى. وقد سمّاها سيجموند فرويد عالم النفس النمساوي (١٨٥٦-١٩٣٩م) بـ(النفس المشتهية)، (والأنا)، (والأنا العليا). وهـذه تتوافق تماماً مع تشبيه أفلاطون (بالسائق)، و (الحصان السيئ)، و(الحصان الطيب) على التوالي، سوى أن فرويد لكونه ملحداً، لم يتخيل أبـداً أن النفس المشتهية قد تصبح حقاً مطمئنة، وترجع إلى ربها من خلال رحمة **الله**.

قال **الله** تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ سورة يوسف، ١٢: ٥٣.

ثالثاً: الروح

إن لكلمة الروح في هذا السياق معنيين: الأول يعني ببساطة حياة الجسم، ولذلك العبارة «زهق روحه» تعني «مات». والثاني، وهو المعنى الذي نستخدمه هنا، يعني الروح التي هي الشاهد الداخلي للنفس والجسم معاً. وهذه الروح هي النفخة الإلهية في

الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة السجدة، ٣٢:٩.

فالروح سرّ الحياة في الجسد، وهي واحدة لا تتنوع، أما النفس فلها أحوال أو حالات ثلاث كما تقدم.

وفي الوقت نفسه فإن الروح والنفس متلازمان لا تخلو حياة الإنسان منهما.

والروح تتسامى على النفس (وعلى الجسم بالطبع) لأنها ليست خالدة فحسب، بل لأنها غير مقيدة بالشخصية والمحددات الفردية (الخصائص الشخصية). وبشكل مساوٍ، فإن عالمها (عالم الملكوت) هو علوي على العالم الذي يحتوي على الأنفس(البرزخ)، لأنه بين يدي **الله** ويحتوي على أرواح المخلوقات كلها يقول **الله** تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة يس، ٣٦: ٨٣. وما خلا ذلك، فلا يمكن معرفة الكثير عن أمر الروح لأنها من أمر **الله**. يقول **الله** تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الإسراء، ١٧:٨٥، فإن للإنسان مركزين إدراكيين: النفس والروح وهذا من معاني قول **الله** تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾(سورة الرحمن، ٥٥:٤٦) وفي

الآخرة جنة للنفس وجنة للروح، والله أعلم.

- اذكر العناصر التي يتكون منها الإنسان؟
- ما هي النفس؟ وكيف تختلف في نظر فرويد عنها في نظر أفلاطون؟

الدرس الثاني
كيف يعرف الإنسان؟

كل جزء في الإنسان يستطيع أن يَعرِف الحقائق الموجودة في عالمه الخاص من خلال الملكات المعرفية الموجودة في كل واحد منهم بشكل فطري. وهذه المصادر الرئيسية الثلاثة للمعرفة كما يلي:

أولاً: المعرفة الجسمية

الجسم كائن مادي، يعلم الحقائق المادية من خلال حواسه المختلفة، ومن ثم يوصلها إلى النفس. فالجسم يرى من خلال العينين، ويسمع من خلال الأذنين، ويشم من خلال الأنف، ويتذوق من خلال الفم، ويحس من خلال الجلد، وهذه كلها أشكال معرفة

العالم المادي، ويعرف عادة هذا الشكل من المعرفة بـ (الإدراك الحسي) أي المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان بواسطة الحواس.

ثانياً: المعرفة النفسية

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ سورة الشمس، ٩١: ٧ – ١٠.

النفس كائن لطيف؛ أي خفي. وبالإضافة إلى المعلومات التي ينقلها إليها الجسم والحواس الجسدية (من خلال الذهن ومركزه المادي وهو المخ) تتوصل النفس إلى المعرفة من خلاف ثلاثة طرق لطيفة رئيسية: وهي الذكاء، والإرادة، والعاطفة، التي يسميها علم النفس الحديث بالنظم (الإدراكية)، و(السلوكية)، و(العاطفية). فمهمة الذكاء هي إدراك الحق، ومهمة الإرادة هي ممارسة حرية الاختيار، وأما العاطفة فمهمتها محبة ما هو خيّر وجميل. وبعبارة أخرى نستطيع القول إن نفس الإنسان تُعرفُ من خلال فهم الحقيقة، ومن خلال إرادة الخير، ومن خلال المشاعر الفاضلة. وبالتالي المعرفة الحقيقية هي ليست مجرد إدراك ذهني، بل إحساس وإرادة. ففهم حقيقة ما هو خيّر وجميل ونبيل،

يعني بالضرورة أن نحبه ونرغب فيه أيضاً.

وهذه الملكات الثلاث بالتحديد هي التي تميز الإنسان عن الحيوان، وتفسر لماذا هو خليفة **الله** في الأرض قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة، ٢: ٣٠. لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد في الأرض الذي يمتلك الذكاء القادر على الحكم بموضوعية كاملة وعلى معرفة الحقيقة. والإنسان هو الوحيد الذي يمتلك الإرادة القادرة على التركيز الكلّي، وعلى الحرية الكاملة، وبالتالي على التضحية المطلقة. والإنسان هو الوحيد الذي يمتلك العاطفة القادرة على المحبة الصادقة، والخير المخلص، وفضيلة حب الغير بنكران الذات. فهذه الملكات تولد مع الإنسان في نفسه، لأنها هبات من **الله**. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ سورة الانفطار، ٨٢: ٦ – ٨.

قال صلى **الله** عليه وسلم: (إن الله تعالى خلق آدم على صورته[٤])، لكنها تتضح تدريجياً. عندما ينمو الطفل، تنمو العاطفة معه منذ الولادة؛ ويبدأ الذكاء والإرادة بالنمو بعد الولادة بمرحلة قصيرة ويتضحان قبل مرحلة المراهقة.

---

(١) مسند ابن حنبل، ٢: ٢٤٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣ إلخ...؛ صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، الباب الأول، صحيح مسلم، كتاب البر، (١١٥)، وفي مواطن أخرى.

وللملكات المعرفية للنفس صيغ معينة، من بينها:

أ) الإرادة: قد تكون الإرادة صابرة أو جاهدة، زاهدة أو عاملة.

ب) العاطفة: قد تكون العاطفة حب أو رضى، متأملة أو متوكلة.

ج) الذكاء: قد يكون الذكاء إدراك منطقي وهو موضوعي، أو حدس أو إحساس وهو شعوري. ومن ناحية أخرى ممكن أن نميز بين الذكاء النظري والذكاء العملي، وبين التحليل والتركيب، وبين الذكاء العفوي وبين الذكاء التخطيطي، وبين الذكاء البنّاء وبين الذكاء الإنتقادي، وبين الذكاء الذي يتوجه نحو المستقبل وهو الخيال والذكاء الذي يتوجه نحو الماضي وهو الذاكرة.

واخير لا بد من التنوبه بالملكة اللغوية التي تبرز الذكاء وتعبّر عنه، وتتيح للناس الاتصال مع بعضهم البعض.

إن صيغ ملكات النفس المختلفة، هي التي تفسر سبب تميز تلميذ عن آخر بشكل فطري في مادة معينة: فهذه الملكات تتطور في كل شخص بطريقة مختلفة بحيث تبرز مواهب مختلفة في مواد مختلفة. وبما أن المعرفة الحقيقية أيضاً تتطلب حب شيء والرغبة فيه، فمن الواضح أيضاً أن التلاميذ الذين يحبون مادة ويرغبون في بذل الجهد فيها، يكون أداؤهم أفضل من التلاميذ الذين لم يتعرضوا للمادة بأسلوب إيجابي. لذلك لم يكن لديهم ما يجذبهم أو يشوقهم للمعرفة وتعلم هذه المادة فلا يحبونها ولا يميلون إليها.

ثالثاً: المعرفة الروحية

١ – الوحي (التنزيل):

إن أعظم معرفة هي المعرفة التي تأتي مع الوحي أو التنزيل لأنها تأتي من خارج الإنسان، من **الله** سبحانه وتعالى، العليم بكل شيء. والوحي هو كلام **الله**. وهو مرسل لكل البشر أو لأمة بأسرها، ولكن ينزّل على الأنبياء والرسل فقط، (وهو الذي يجعل منهم أنبياء ورسلاً):

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ سورة آل عمران، ٣: ٣.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ سورة النساء، ٤: ١٦٣ – ١٦٤.

ومع موت سيدنا محمد صلى **الله** عليه وسلم خاتم الأنبياء، أُقفل باب الوحي، ولن يكون هناك أي تنزيل أو وحي آخر حتى القدوم الثاني لسيدنا عيسى عليه السلام.

٢ – الإلهام:

أعظم معرفة بعد المعرفة التي تأتي مع الوحي هي معرفة الروح ومصدرها من **الله** سبحانه وتعالى أو من لدن **الله** سبحانه وتعالى:

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ سورة يوسف، ١٢: ٨٦.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ سورة الكهف، ١٨: ٦٥.

وتسمى هذه المعرفة «الإلهام». وهي معرفة صحيحة، ومعرفة مباشرة كاملة للأشياء على حقيقتها، على عكس المعرفة التي تأتي من نفس الإنسان، وعنها قال سيدنا الخضر كما جاء في كتاب **الله** تعالى:

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ سورة الكهف، ١٨: ٨٢.

ولم يُغلق باب الإلهام حتى هذا اليوم، لكنه متاح لبعض الخاصة من الناس الأتقياء الأبرار الصالحين الزاهدين مثل سيدنا الخضر.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ سورة الزمر، ٣٩: ٩.

٣ – القلب:

لا بد من التنويه بالقلب لدى بحث المعرفة الروحية. وفي الواقع فإن لكلمة (قلب) معنيين: الأول هو القلب الذي يشكّل جزءاً من الجسم ويقع داخل القفص الصدري ويضخ الدم إلى كل أجزاء الجسم. أما المعنى الثاني، وهو الذي يهمنا في هذا السياق، هو القلب الخفي أو اللطيف وهو الوسيلة التي تربط المعرفة الروحية بالنفس. ولهذا السبب وصف أحياناً (بالعين الثالثة)، وأحياناً بالجسر الذي يربط بين النفس والروح، والذي يعلم بعين اليقين من خلاله فقط الأصفياء النادرون كسيدنا الخضر. وأما البشر الآخرون فقد صدأت قلوبهم وأغلقت. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ سورة الأعراف، ٧: ١٧٩.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ سورة الحج، ٢٢: ٤٦.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ سورة محمد، ٤٧: ٢٤.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ سورة البقرة، ٢: ٩–١٠.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة المطففين، ٨٣: ١٤.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ سورة المجادلة، ٥٨: ٢٢.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ سورة الفتح، ٤٨: ٤.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ سورة البقرة، ٢: ٧٤.

إيمانويل كانت ونفيه للقلب والمعرفة الروحية:

كانت حقيقة القلب والمعرفة الروحية معروفة دائماً في كل أنحاء العالم القديم وحتى في الغرب، وفي الإنجيل روي أن سيدنا عيسى عليه السلام قال:

(فأجابه عيسى إن أول كل الوصايا هي، اسمع يا بني إسرائيل، الرب إلهنا ربٌ واحدٌ. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانيةٌ مثلها هي تحب جارك كنفسك. ليس وصيةٌ أخرى أعظم من هاتين)[٥].

(لاحظ هنا أن الملكات الأساسية للنفس هي المذكورة سابقاً،

---

(١) الإنجيل (القديس مرقص، ١٢: ٢٩–٣١)، (وأنظر أيضاً سفر التثنية، ٦:٥، ومتّى ٢٢: ٣٧–٤٠).

القلب، والنفس، والمحبة، والإرادة – وهي مصدر القدرة – والذكاء أو الفكر).

وعلى الرغم من هذا، فكان دائماً أناس يشككون بحقيقة القلب –أو يتقبلونها دون اقتناع تام– لسبب بسيط، وهو أنهم لم يخبروه بأنفسهم، ولم يعرفوا أيضاً أي أحد خَبره (بالتأكيد قليل من الناس من يحظ بذلك). وعلى أي حال، كان أول شخص لم ينكر وجوده فحسب، بل يحاول أن يبرهن بشكل فلسفي عدم إمكانية وجوده، هو الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت (١٧٢٤–١٨٠٤م). وفي كتابه (نقد العقل المحض) (١٧٨١م) وكتابه (مقدمة نقدية لأي ميتافيزيقا مستقبلية) (١٧٨٣م). جادل (كانت) بأن معرفة الأشياء بحد ذاتها، والذي سمّاه (بالعقل المحض)، هو مستحيل ومتناقض منطقياً، وأن الميتافيزيقا التي كانت عقيدة هذه المعرفة كانت كلاماً فارغاً. كان (كانت) على حق من ناحية واحدة: وهي أن المعرفة المباشرة أو المحضة مستحيلة على مستوى النفس، مع أنها قادرة على معرفة الحقائق بشكل غير مباشر، لأنها لا تملك أبداً أن تحرر نفسها من مفاهيمها المسبقة ومنظورها الفردي.

فتأمل كرسياً، أي كرسي. الكل يعرف ما الكرسي، ولكن لا أحد

يراه تماماً من نفس الزاوية التي يراه الآخر منها. ولا يراه أحد من الزوايا كلها في نفس الوقت. وعندما يراه شخص، فإنه لا يعرف من مجرد رؤيته كل خواصه وسماته، أو عمره أو تاريخه. ولا يُعرف عن ذات طبيعته. فقد يكون على وشك الانهيار ولكن قد لا نعرف ذلك من مجرد النظر إليه. وعلاوة على ذلك؛ لا يُعرف الكرسي في حد ذاته مباشرة، ولكن من خلال صورة في النفس بُثت من العين، أو الذاكرة أو الخيال. ولكن تلك الصورة ملائمة بشكل كاف بحيث تمكّننا من الذهاب إليه والجلوس عليه، أو حمله، أو من إخبار أحد أننا رأينا كرسياً، أو أن نعرف أن ذلك الكرسي هو ليس مائدة أو سلّماً مثلاً. إذن للنفس معرفة حقيقية صحيحة لكنها ليست خالصة أو مباشرة.

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الروم، ٣٠:٧.

الروح لها معرفة مباشرة. لأنها تأتي من **الله** سبحانه وتعالى، ولكن توجد على مستوى مختلف عن النفس. ولذلك القلب، أو الفؤاد الذي هو عين القلب، يرى الاشياء بشكل كامل أو محض. يقول **الله** تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ سورة النجم، ٥٣:١١. وقد كانت غلطة (كانت) في افتراضه أن مجرد عدم امتلاكه مثل هذه المعرفة، أو عدم علمه بأحد يمتلكها، فإن أحداً لا يستطيع الحصول عليها.

وكانت حجته كمن لم يذهب إلى الصين أبداً، ولم يعرف أحداً ذهب إليها، فقال فجأة إن الصين ليست موجودة ومن المستحيل أن تكون موجودة!! ولسوء الحظ، فقد ضعف الإيمان لدى بعض الفلاسفة بوجود معرفة روحية في كل أنحاء العالم بعد رأي (كانت)، واستمر هذا الضعف لدى الفلاسفة، وحتى لدى المؤمنين، إلى يومنا هذا.

٤- العقل:

هناك نوع واحد من المعرفة الروحية المتاحة لكل البشر. إنها المعرفة العقلية. أولاً لا بد من الإشارة إلى أن كلمة (العقل) في اللغة العربية لها ثلاثة معانٍ مختلفة على الأقل. الأول هو الذهن وهو مصطلح عام بحد ذاته يدل بشكل غير محدد على الذكاء، أو الوعي، أو إدراك النفس. وأما المعنى الثاني فهو بالتحديد ملكة المنطق في النفس كما سنبحث لاحقاً. وغالباً يستخدم الفلاسفة هذه الكلمة في سياق هذا المعنى. والمعنى الثالث، وهو الذي يعنينا هنا، هو إشعاع من المعرفة يأتي من الروح عبر القلب إلى أعماق النفس حتى الجسم. فإذا شبّهنا النور بالمعرفة، والشمس بالروح، والقمر بالنفس، والأرض بالجسم، عندئذ يمكن تشبيه العقل بشعاع من

النور في الليل يصدر عن الشمس، ويرتد على القمر، ويرتطم أخيراً بالأرض.

عندما يكون هذا الشعاع (بنفس مستوى القلب)، يمكننا أن نعتبره القلب، وعندما يكون (بنفس مستوى النفس) يمكننا أن نعتبره (إحساساً حقيقياً) يزودنا (بالمعرفة الشخصية) كما ذكرنا سابقاً. ويزود هذا الإحساس المؤمنين ببصيرة عجيبة لمعرفة الأمور وللفراسة في الناس. قال رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم: (احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[١].

ويمكّننا هذا الإحساس أيضاً من تدبر الأمور بإبقائها في أذهاننا من دون أي تفكير منطقي فيها ومن ثم فهمها لا إرادياً. وهذا هو معنى مصطلح (يعقلون) الذي ورد في القرآن الكريم في آيات مثل الآيات التالية:

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

سورة البقرة، ٢: ١٦٤.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الحجر (١٦:٦).

وأخيراً، عندما يكون العقل بنفس «مستوى» الجسم فهو يولد غريزة حيوانية. ولكن ما هي الغريزة؟ كي نفهم هذا جيداً لا بد أن نطرح الأسئلة التالية: عندما يقود المرء سيارة، أو يسير في الشارع وهو يتكلم، فمن هو الذي يتكلم؟ ومن الذي يقود؟ وكيف ننتفض حين يُرمى علينا شيء؟ وكيف تطير الطيور المهاجرة بمفردها للمرة الأولى أحياناً، وتقطع مسافات طويلة عبر العالم إلى مكان حيث تلتقي بالطيور الأخرى؟ كيف تكتسب التماسيح حديثة الولادة التي هجرها أبواها المهارات التي تمكنها من البقاء؟

يقول **الله** تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ سورة طه، ٢٠: ٥٠.

فهذه غريزة فطرية كحاسة الشم أو البصر لدى بعض الحيوانات، وكقرون الاستشعار وغيرها، وليس بالضرورة أن يكون عقلاً.

بعد هذا نبدأ بالسؤال الأول: إذا كانت النفس تركز على المحادثة من خلال الذكاء والإرادة، فمن الواضح أنهما ليسا من يقود السيارة أو يحرك الساقين؟ وهي بالتأكيد ليست الروح أو القلب، لأن المعرفة الروحية ذات طبيعة مختلفة، كما ذكرنا سابقاً وليست بجسمية، لأن الجسم بحد ذاته لا يستطيع التفكير،

وإلا قد تفكر الجثث وتفر من الدفن! وبالنسبة لما يسمى في الوقت الحاضر بالعقل الباطن، فما هذه سوى ميول الأنا ورغباتها. وهي بالتالي جزء من النفس التي هي مشغولة بالحديث وبالتالي فهي شيء آخر. ومن خلال هذا العقل يمنح **الله** سبحانه وتعالى في النهاية كل المخلوقات – الحيوانات والبشر على السواء – المعرفة الفطرية التي تحتاج إليها للبقاء، ومع أننا نسميها بشكل عام غريزة حيوانية، بل هي غالباً إعجازية. ويذكّرنا القرآن الكريم أن **الله** سبحانه وتعالى يوحي إلى الحيوانات:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ سورة النحل، ١٦: ٦٨ – ٦٩.

٥ – الرؤيا الصالحة:

لا يفوتنا أن نذكر الرؤيا الصالحة في هذا الجزء، والرؤيا الصالحة ليست مشهودة من قبل الأنبياء فقط كسيدنا إبراهيم في القرآن الكريم (سورة الصافات، ٣٧: ١٠٢)، وسيدنا يعقوب (سورة يوسف، ١٢: ٤)، وسيدنا محمد صلى **الله** عليه وسلم نفسه (سورة الفتح، ٤٨: ٢٧)، (سورة الأنفال، ٨: ٤٣)، بل يراها

المؤمنون العاديون، من السجناء في السجن (سورة يوسف، ١٢: ٣٦) إلى الملوك (سورة يوسف، ١٢: ٤٣)، وقال رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)[٧].

وهذا يعني أن الرؤيا الصالحة تستطيع أن تزود المؤمنين بمعرفة حقيقية وذلك لأن المسلمين الذين يواجهون مسألة شائكة يستطيعون أن يدعو **الله** طلباً للرؤيا من خلال الاستخارة كي يرشدهم بما يفعلونه. (وهذا يتطلب شروطاً معينة: على المرء أن يكون مؤمناً، وأن تكون حاجته حقيقية وليست مجرد رغبة في مشاهدة الرؤيا، ويجب أن يستنفد كل الوسائل الأخرى في حل المشكلة بما في ذلك التفكير، والاستشارة، والدعاء؛ ويجب أن تكون له النية أن يقبل الجواب مهما كان).

وبطبيعة الحال ليست كل المنامات رؤى، فمنها أضغاث أحلام. قال **الله** تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ سورة يوسف، ١٢: ٤٤، وهي نوع من (استرجاع عقلي) و(استحضار للمعلومات) التي تتضمن ذكريات يومه، وخيالاته وعواطفه، وحواسه الجسدية، وتداعياته، وهلم جرا... قال رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم:

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، الباب الرابع.

(الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)[٨]. كما تختلف الرؤيا عن الحلم بالفروقات التالية: بشدة وضوحها وصفائها؛ وبحدوثها في لحظات مباركة (مثل وقت الفجر) وأحياناً يكون المرء في حالة استيقاظ بعد انتهاء الرؤيا؛ وبإيحائها بعناصر مباركة من خارج الزمان والمكان كالأنبياء والملائكة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رآني فقد رأى الحق)[٩]؛ وبطبيعتها التي تستمر غالباً طوال النهار؛ وبحدوثها عادة لهدف يتسم بالرحمة مثل البشرى والتشجيع، والطمأنة والمواساة والتحذير من خطر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة)[١٠].

- ما هي علامات الرؤيا؟
- ما هي شروط الاستخارة؟

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، ص(٣).
(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي في المنام، ص (٤٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، ص (٩).
لا بد من التنويه، بشكل عارض، أن الرؤيا هي رمزية في الشكل، وأن من الضروري أن يعرف المرء كيف يفسرها. وأفضل كتاب في هذا الموضوع هو (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) لابن سيرين (٣٣-١١٠ه الموافق ٦٥٣-٧٢٩م).

ملخص للمصادر الثلاثة للمعرفة

يروي أفلاطون في أحد أعظم المقتطفات في الأدب الغربي والفلسفة، قصة سجناء في كهف على شكل حكاية رمزية لحالة الإنسان ولمصادر المعرفة الرئيسية الثلاثة:

«شبه أثر المعرفة أو عدمها على طبيعتنا الإنسانية بموقفٍ كهذا: فلنتصور مجموعة من الناس يعيشون في كهف تحت الأرض، له طريق علوية بإتجاه الضوء. والناس يوجدون هناك منذ الطفولة، وأعناقهم وسيقانهم مغلولة، بحيث يبقون في المكان نفسه ولا يرون إلا أمامهم فقط، لأن أغلالهم تمنعهم من تحريك رؤوسهم. والضوء خلفهم متوافر بإشتعال النار حيث يغطي بعض المسافة من خلفهم ومن أمامهم. وبين النار والسجناء يستعرضون خلفهم دمى من كل أنواع المصنوعات الفنية، وتماثيل للبشر، وتماثيل طبق الأصل لحيوانات مصنوعة من الحجر أو الخشب مصممة بطرق متنوعة، لكي يرى السجناء ظلال (خيالات) هذه الدمى فقط.

إن هؤلاء السجناء مثلنا... أتظن في الأساس أن هؤلاء الرجال يستطيعون أن يروا جزءاً من أنفسهم أو بعضهم بعضا ما عدا الظلال التي تلقي بها النار على حائط الكهف أمامهم؟ إذا كان بإمكانهم

تبادل الآراء فيما بينهم، ألا تعتقد أنهم قد يعتبرون هذه الظلال هي الأشياء الحقيقية؟

ثم فكر كيف سيكون الخلاص من قيودهم والتخلص من جهلهم لو أنهم تحرروا من أماكنهم؟

وكيف لو أن تحرر أحدهم وإستدار أولاً حوله ورأى الدمى؟ ثم تسلق طريق الكهف إلى العالم الحقيقي، ورأى أجساماً في السماء: وتلألؤ النجوم، والقمر، وأشعة الشمس خلال النهار...

ولو نزل الإنسان الذي صعد إلى العالم الحقيقي مرة أخرى إلى الكهف... وكان عليه أن يكافح من أجل تحرير هؤلاء الذين ضلوا سجناء... ألن يسخروا منه؟ ألن يقال إنه عاد من رحلته في الأعلى وقد فسد نظره، بل إن الأمر لم يكن يستحق محاولة السفر إلى الأعلى؟ وبالنسبة للإنسان الذي حاول أن يخلصهم ويقودهم إلى الأعلى، فلو كان بمقدورهم بطريقة ما أن يفكوا أيديهم لقتله لفعلوا!

يجب أن يشبّه العالم المرئي بمكان السجن، والنار التي في الداخل بقوة الشمس. فإذا ترجمة الرحلة إلى الأعلى والتأمل في الأشياء هناك على أنها الرحلة إلى العالم الروحي، ستفهم ما أعنيه»[١١].

(١) أفلاطون، الجمهورية، الفصل ٧، ٥١٤–٥١٧

وبذلك لدينا ثلاثة مستويات للمعرفة بترتيب تصاعدي: المعرفة الجسمية أو الحواس الجسدية، وهي تمثل الظلال؛ والمعرفة النفسية (عندما تكون فاضلة وتتبع التفكير الصحيح ولديها يقين كما سنبحث لاحقاً)، وهذه تمثل الدمى؛ والمعرفة الروحية وهي معرفة الأمور الحقيقية. وأما البشر المقيدون بالأغلال ولا يؤمنون إلا بالظلال بحيث إعتقدوا خطأ أنها حقيقة بالنسبة لهم لدرجة أنهم مستعدون لقتل أي أحد يخالفهم. وأما الناس الذين رأوا الأشياء الحقيقية وخرجوا من الكهف إلى العالم الحقيقي وحاولوا تحذير سكان الكهف فهم الأنبياء والرسل، والعداوة التي قوبلوا بها كعداوة الكفار نحو أنبيائهم كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ سورة يس، ٣٦: ١٣-١٩.

• أذكر مصادر المعرفة، وقارن بينها.

نشاط: على مسرح المدرسة أو في غرفة الصف مثّل وزملاؤك بالتعاون مع معلمك القصة السالفة، مستعيناً بما مر بك في كتاب التاريخ للصف التاسع الأساسي حول موضوع خيال الظل.

إن في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ملخصاً آخر لمصادر المعرفة الثلاثة وهي: المعرفة الجسمية، والمعرفة النفسية، والمعرفة الروحية. ففي كتاب **الله** تعالى قد نرى نفس المراحل الثلاث متمثلة في رؤية سيدنا إبراهيم عليه السلام للكوكب ثم للقمر ثم للشمس إلى أن وصل إلى الحقيقة المطلقة، وهي البراءة من كل شرك خفي والوصول إلى هدى **الله** التام.

قال **الله** تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ

هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ سورة الأنعام، ٦: ٧٤–٧٩.

• هل مصادر المعرفة في الإسلام تختلف جوهرياً عن ما عند أفلاطون في قصة سجناء الكهف؟

الدرس الثالث
طبيعة المعرفة

أولاً: الحقيقة

إن الحقيقة مطلقة بطبيعتها. وهذا يعني أن الشيء الحقيقي هو حقيقي بشكل تام، وأن حقيقة الشيء موجودة بشكل مستقل عن المعرفة كلها ما عدا معرفة **الله** سبحانه وتعالى. وبعبارة أخرى إذا وُجد شيء حقيقي فهو كذلك بغض النظر عما يقول أو يظن عنه أي شخص أو كل الناس، والتفكير بشيء لا يؤثر في حقيقته. وذلك لأن مصدر الحقيقة هو **الله** تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾ سورة الحج، ٢٢: ٦. وهنا يكمن السبب في أن الكذب يعتبر إساءة لله تعالى: إنها إهانة لطبيعته بكونه تعالى هو الحق. لذلك يقول تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾ سورة البقرة، ٢: ٤٢.

ثانياً: المعرفة

المعرفة بطبيعتها هي معرفة الحقيقة. والمعرفة التي ليست صحيحة تماماً ليست معرفة، ولكنها رأي فقط. وفي الواقع، فإن كثيراً مما يقال في الوقت الحاضر على أنه معرفة، بل حتى معظم ما يدرّس في الجامعات، ما هو إلا وجهات نظر، واعتقادات، وأحكام، وقناعات، ومعلومات، ونظريات، وتصورات. وهذه قد تكون صحيحة أو لا تكون، لكنها ليست أكيدة، إذن فهي معرفة ناقصة لم تصل إلى حد تسميتها معرفة الحقيقة.

كيف نعرف إن كان ما نعتقده هو الحقيقة أم لا؟ وكذلك كيف نعرف أننا نعرف؟ هذه مسألة نوقشت من قبل الفلاسفة كثيراً، ولكن، الجواب بسيط: الحقيقة تفرض من خلال طبيعتها اليقين في النفس، بدرجات متفاوتة، شريطة أن تكون النفس عاقلة وعلى فطرتها. يقول الله تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ سورة طه، ٢٠: ١١٤. وهذا يعني بالطبع أن العلم الحقيقي يمكن أن يكون موجوداً عند الإنسان، ومستمد في حقيقته من الله.

ثالثاً: الشك

قبل أن نبحث في موضوع اليقين، نبحث في نقيضه وهو الشك، فبضدها تتميز الأشياء. فمنذ أقدم الأزمان في تاريخ الإنسانية، كان هناك من انتهج الشك في مختلف الأمور، بل حتى من انتهج الشك في كل شيء؛ لدرجة أن القرآن يستنكر الشك الذي وقع في وجود الباري سبحانه فقال:

﴿ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ سورة إبراهيم، ١٤: ١٠. ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ سورة الإسراء، ١٧: ٩٠ – ٩٣.

كما كانت أول مدرسة رسمية للفلسفة ترتكز بشكل أساسي

على الشك هي مدرسة السكبتيكية (Skeptics) الإغريقية (التي تأسست تقريباً عام ٨٠ قبل الميلاد). جادل السكبتيكيون أنه بما أن المعلومات قد تتأثر بالمنظوريات والشكليات فلا بد للمرء أن يمتنع من الحكم على الحقيقة، وعندئذٍ فقط يستطيع أن يكون أميناً من ناحية فكرية وينعم براحة البال.

ومعلوم أن الشك إما مذهبي تجب مقاومته وإما منهجي هو أحد بدايات تحصيل المعرفة.

وبعد ألف وخمسمائة عام، أسهب المفكر الفرنسي رينيه ديكارت[١٢] (١٥٩٦-١٦٥٠م) في هذا الموضوع فأقترح أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى معرفة، هي بالشك في كل شيء إلى أن نكتشف شيئاً لا يمكن الشك فيه. وقد سُمي هذا: «الشك كمنهج (فلسفي)»، واسترسل ديكارت حتى أنه شك في حقيقة العالم وافترض أن الحقيقة وهم خدعه كائن آخر على الناس. واستنتج في الأخير أن اليقين الوحيد في نظره الذي يستطيع أن يبني عليه آراءه عن العالم هو أنه كان يفكر حتى وهو يشك، وهذا يعني في النهاية أنه موجود. وكانت مقولته المشهورة «أنا أفكر فإذن أنا موجود» بالنسبة له نقطة الانطلاق للفلسفة، بل حتى للمعرفة

(١) ومعلوم أن الإمام الغزالي قد سبق ديكارت بالأخذ بالشك المنهجي المذكور.

كلها، وهذا ما يعرف بـ «الكوجيتو»، ثم واصل ديكارت التأملات الخمسة بعد ذلك.

ممّا مهّد الطريق للفيلسوف البريطاني ديفيد هيوم (١٧١١–١٧٧٦م) لإطلاق الشك والسكبتيكية إلى نهاية متطرفة وهي الأنانة: فقد قال إن المرء أساساً لا يستطيع أن يعرف شيئاً أو حتى إذا كان شيء موجوداً فعلاً، لأننا لا نملك سوى تصورات قامت عقولنا بتصفيتها وتعديلها وترتيبها. وبعبارة أخرى، فإن معنى الحقيقة وتصورها تبتدعهما عقولنا، مثل الأحلام العادية، ولذلك فالمعرفة الحقيقية والحقيقة قد تكونان غير موجودتين.

وكما قال كثير من الفلاسفة، فإن مشكلة هذه الاقتراحات (بالإضافة إلى أنها غير صحيحة في الأصل) أنها منافقة وتناقض نفسها. وسبب نفاقها أن كل أتباع مدارس الشك، والشكوكية، والأنانة (بمن فيهم ديكارت وهيوم) كانوا يتناولون الطعام عندما كانوا يشعرون بالجوع، ويشربون عندما كانوا يحسون بالعطش، دون أن يشكّوا بأنهم كانوا جياعاً أو عطاشى؛ وهم بالتأكيد قد يهربون إذا طاردهم ثور، ويصرخون إذا عضهم كلب، ولم يكن أي منهم ليقول أو قال فعلاً: «أنا أشك أن العالم موجود، لذلك سوف أسمح أن يتم حرقي

مثل النبي إبراهيم، أو أن أقدم نفسي أضحية مثل ابنه[١٢]، اللذين امتلكا الشجاعة لتطبيق قناعاتهما». وسبب تناقضهما الذاتي أن هؤلاء الفلاسفة المزعومين، قد أتعبوا أنفسهم بكتابة ما كانوا يفكرون به وإخبارنا عنه، ولذلك يبدو واضحاً أنهم آمنوا بدرجة كافية بوجود أناس آخرين لفعل ذلك ! فالشك ما هو إلا افتقاد اليقين وهو بحد ذاته لا يدل على شيء.

• إذا أتبع الشك بالبحث هل يمكن الوصول إلى الحقيقة؟ علل ذلك.

رابعًا: اليقين

ذكرنا سابقاً أن الحقيقة الموضوعية تفرض بطبيعتها يقيناً في النفس بدرجات متفاوتة، شريطة أن تكون النفس عاقلة وعلى فطرتها. وهذا يعني أنه عندما يتملك المرء إحساساً ثابتاً باليقين وعدم الارتياب في شيء ما بشكل موضوعي – وليس بمجرد اقتناع عاطفي يرتكز على ما يريده أو ما يخشاه – فهذا يعني عادة أن ذلك الشيء صحيح. من البدهي أن المرء يجب أن يكون ذكياً، وعاقلاً، وفاضلاً. وهذه هي سلامة النفس الخالدة التي

(١) هذا بناء على رواية النصارى بصلب المسيح.

ستواجه يوم الحساب.

وفي هذا الأمر فإن الجسم أوضح من النفس، فلننظر إلى الجسم أولاً كمثال. عندما يشعر المرء بشيءٍ، أو يتذوق شيئاً، أو يشم أو يسمع شيئاً، فالسبب أن هذه الأشياء موجودة حقاً: إن الحواس تعمل آلياً ولا تكون مزيفة في الجسم السليم حتى لو أخطأ العقل في تفسيرها فيما بعد. نقول «العقل السليم في الجسم السليم» لأن الجسم المريض يمكن أن يخطئ: فكم من مريض أحس في الحرق أو الحرارة من غير نار أو دفئ حقيقي؟ واليوم من الممكن من خلال العلم إعادة برمجة المخ بحيث تُرى موجات الصوت وتُسمع موجات اللون، وهو أمر صحيح بالتأكيد؛ إذ أن بعض الناس ذوي الأطراف المبتورة يشعرون أحياناً بتلك الأطراف. ويعمل الذكاء تقريباً بالطريقة نفسها. عندما يكون متيقناً من شيء فهذا لأنه صحيح بشرط أن يكون الشخص عاقلاً، لأن المجنون أو غير العاقل يمكن أن يصاب بالهلوسة، وضعيف العقل قد يسيء الفهم، ويسيء الحكم، ويمكن أن يكون المسنّ خرفاً. يقول **الله** تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ سورة النحل، ١٦: ٧٠.

وتعمل أيضاً الملكتان الأخريان للنفس (الإرادة والعاطفة)

بأسلوب مشابه لما ذكر سابقاً، شريطة أن تكون النفس فاضلة وعلى صفائها الفطري – إذ أن نفوس الأنبياء والأبرار الصالحين فقط هي كذلك – لأن هذه هي سلامة العاطفة والإرادة وصحتهما. إن الأشرار، وحتى الناس العاديين الخطّائين، يمكن أحياناً أن يحبوا الأشياء السيئة ويرغبوا فيها. ويقول **الله** تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ سورة البقرة، ٢١٦:٢. ولكن عندما يرغب نبي في شيء ما فهذا الشيء صالح، وعندما يحب شيئاً فذلك لأن هذا الشيء نبيل وجميل. وبالتأكيد، هذه وحدها هي المحبة الحقيقية والإرادة الصالحة:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ سورة البقرة، ٢: ١٦٥.

وهنالك ثلاث درجات رئيسية لليقين، هي: علم اليقين (التكاثر،١٠٢:٥). وعين اليقين (التكاثر، ١٠٢:٧)، وحق اليقين (الواقعة، ٥٦:٩٥).

أما علم اليقين فهو أن تعرف شيئاً حقيقياً بيقين، ولكن بيقين النفس فقط، وليس باليقين الذي يغوص في أعماق النفس حتى القلب:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ

بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي) سورة البقرة، ٢: ٢٦٠.

والخطوة التالية، وهي عين اليقين، وهي عندما تبدأ النفس بالنظر بعينها الثالثة أو (بالعين الخفية)، التي كما سبق أن ذكرنا ما هي إلا القلب. وأخيراً، حق اليقين هو عندما يكون المرء مغموراً بالحقيقة بشكل كلي وتام، كالذين انتقلوا إلى الحياة الآخرة (وهي بالتحديد دار الحق)؛ قال تعالى: (كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥) سورة التكاثر، ١٠٢: ٥.

كما قال: (وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢) سورة الحاقة، ٦٩: ٤٩ – ٥٢.

هذا هو اليقين المطلق. وهو يمارس في معرفة الحقيقة المطلقة وفي معرفة الحقائق الكبيرة الدينية، وليس على الوقائع العادية.

- قارن بين الإرادة وحب شيء ما عند الأشرار، وعند الصالحين من حيث خير الأشياء وشرها.

خامسًا: الإيمان

وهنا مرة أُخرى، فإن لهذه الكلمة أيضاً (الإيمان) معانيَ مختلفة في سياقات مختلفة: فالإيمان بالمعنى العام هو أن نعرف أن الله موجود ونتوكل عليه. وهو بالمعنى الخاص يعتبر درجة معينة من هذه المعرفة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس. فأتاه رجل. فقال يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر). قال: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان)، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه. فإنك إن لا تراه فإنه يراك). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم) (١٤).

هناك ثلاث درجات للدين، هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وهي تمثل، في سياق معين، درجات اليقين الثلاث. الدرجة الأولى «الإسلام»، ومعناه الاستسلام لله والإذعان له، دون إيمان عميق.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الجزء الأول، ص (١٥٧).

أما الدرجة الثانية «الإيمان»، وهو الإيمان الذي يتعدى العقل ويصل إلى القلب:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ سورة الحجرات، ٤٩: ١٤.

والدرجة الأخيرة «الإحسان»، فهي تتوافق مع حق اليقين، ويكون العبد فيها مغموراً ومذهولاً تماماً، كأنه يرى **الله** سبحانه وتعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ سورة الأعراف، ٧: ١٤٣.

ويبقى أن نقول عن الإيمان أنه يزداد ويتناقص، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ سورة المدثر، ٧٤: ٣١. ويزداد الإيمان أو يتناقص حسب أعمال الإنسان إن كانت حسنات أم سيئات، لأن القلب كالسراج، والخطيئة كالصدأ على ذلك السراج، والأعمال الحسنة هي المادة المزيلة (لصدأ) السيئات، والإيمان هو نور ذلك السراج. قال رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم:

(القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه مثل السراج أزهر، وذلك قلب المؤمن، وسراجه فيه نوره، وقلب أغلف مربوط على غلافه، فذلك قلب الكافر. وقلب منكوس، وذلك قلب المنافق عرف ثم أنكر. وقلب مصفح وذلك قلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان منه، كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المدتين غلبت على أخرى غلبت عليه)[١٥].

وقال أيضاً:

(إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقل قلبُه وإن عاد نزيد فيها حتى تعلو قلبه)[١٦] وهو الران الذي ذكره الله تعالى في قوله:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة المطففين، ٨٣: ١٤.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ سورة الأعراف، ٧: ١٠٠.

---

(١) مسند ابن حنبل، الجزء الثالث، ص (١٧).

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير القرآن، تفسير (سورة المطففين: ٨٣، ١٤).

ومن ناحية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ سورة الأعراف، ٧: ٢٠١.

وهذا يفسر كيف أن بعض الكافرين والملحدين يتمتعون بذكاء متطور في مجالات معينة، وقد يكونون نوابغ: لأن الإيمان لا يعتمد فقط على الذكاء، ولكن بالأحرى على حالة النفس للمرء، وأعماله السابقة طوال حياته. وبالتالي قد يكون المرء ذكياً في أمور معينة ويكون كافراً، وقد يكون المرء بسيطاً جداً ولكن إيمانه قوي. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ سورة البقرة، ٢:٩٩. وهذا يفسّر كيف يقوى الإيمان بالصلاة، وفعل الخير، وتجنب السيئات. وهذا يفسر لماذا الكلام في الدين وحده لا يفيد: لأن الحديث لا يغير أمراً سيئاً إلى جيد من غير أفعال صالحة.

- حدد درجات الدين الثلاث؟
- ما هي طبيعة المعرفة؟
- هل يعتمد الإيمان على الذكاء فقط؟ وضح إجابتك؟
- وازن بين اليقين بدرجاته الثلاث والدين بدرجاته الثلاث؟ وعلل إجابتك.

الدرس الرابع

نماذج المعرفة المتعددة

يمكننا الآن أن نوضح أن للمعرفة ثلاثة نماذج رئيسية مختلفة. النموذج الأول ويُسمى «المعرفة العلوية» وتأتي من الإيمان والدين وتنغرس في القلب والروح. وهي النوع الوحيد من المعرفة الذي يمنح عين اليقين وحق اليقين، تكلمنا فيه بما يكفي سابقاً.

أما النموذج الثاني ويسمى «المعرفة الأكيدة» وهي الوحيدة التي تمنح علم اليقين لأنها ترتكز على المعرفة المنحدرة من طبيعة **الله** أو من الوحي. ويتضمن هذا النوع من المعرفة مبادئ الرياضيات (أو على الأقل علم الحساب، المتجذر في وحدة الرقم واحد الذي يعكس الوحدة الإلهية)، والمنطق، والحتميات، التي تنبثق من الوحي أو طبيعة الخلق، كتقدم الزمن، وكالموت جاء في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ سورة آل عمران، ٣: ١٨٥.

والنموذج الثالث من المعرفة يسمى «المعرفة التجريبية»، ولكن بشكل أدق، لا تعتبر معرفة على الإطلاق لأنها ليست أكيدة بطبيعتها – قد تكون صحيحة أو لا تكون، ومن المستحيل

معرفة أيها – وهي أساس العلوم الحديثة. وبالتأكيد هي أساس التكنولوجيا الحديثة كلها.

فيما يلي سوف نبحث المنطق كمثال على «المعرفة الأكيدة»، والعلوم الإسلامية كمثال على معرفة أكيدة من حيث المبدأ، والمرتبطة بالتحرير والمعلومات «التجريبية» أحياناً، و«المعرفة» الغربية الحديثة كمثال على المعرفة التجريبية والظنية في طبيعتها.

- ما هي أنواع المعرفة؟ وضّح إجاباتك بالاستعانة بمقتطفات من القرآن الكريم.
- اذكر ثلاث حقائق لا تتأثر بأقوال أو أفعال؟

أولاً: المنطق

يقع المنطق كله في قاعدتين رئيسيتين بسيطتين تنبثقان من طبيعة **الله** سبحانه وتعالى، وهما قاعدة التناقض وقاعدة الثالث المرفوع.

تقول قاعدة التناقض إن أي طرح لا يمكن أن يكون صحيحاً وخاطئاً في وقت واحد وفي مقدار واحد. وإن الشيء لا يمكن أن يكون ولا يكون، أو تكون له صفة ولا تكون له، في وقت واحد ومقدار واحد.

وتقول قاعدة الثالث المرفوع إن أي طرح يجب أن يكون إما صحيحاً أو خاطئاً، وأن الشيء يكون إما موجوداً أو غير موجود، وإما له صفة أو ليس له صفة. إن قاعدة التناقض صحيحة لأنها تؤكد مطلقية الحقيقة. وهو يعكس بالتالي مطلقية الحق لأن الحقيقة تأتي من الحق. قال **الله** تعالى: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ سورة القصص، ٢٨:٧٥، وقاعدة الثالث المرفوع صحيحة لأنها تؤكد على لا نهائية الحقيقة – أي لا توجد احتمالات أخرى سوى أن يكون أو لا يكون – وهي بالتالي تعكس لا نهائية الحق. لأن **الله** تعالى هو الحق وهو تعالى الأول والآخر والظاهر والباطن قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ سورة الحديد، ٥٧: ٣.

ولفهم ما سبق تأمل المثال التالي: فعبارة «أنا في الأردن» وفق قاعدة التناقض، يمكن أن تكون صحيحة أو يمكن أن تكون خاطئة «وليس الإثنين معاً»، ووفق قاعدة الثالث المرفوع فإن هذه العبارة إما أن تكون صحيحة أو خاطئة «وليس أي شيء آخر»، ولا يوجد لها احتمالات أخرى. وفيما يتعلق بالصفات وبالوجود، لا يمكن القول وفق قاعدة التناقض إن لدي صفة وليس لدي هذه الصفة في وقت واحد. ووفق قاعدة الثالث المرفوع يجب أن يكون لنا هذه الصفة أو لا تكون لنا.

ويضاف إلى القانونين السابقين قانون الهوية، وهو يعني أن الشيء بحقيقته هو هو في كل زمان ومكان، ويرمز إليه بـ «أ» هو «أ».

ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن بعض المصطلحات غير واضحة أصلاً (مثل الصلع) وبعضها تحوي تناقضاً داخلياً. وفي هاتين الحالتين لا يمكن تطبيق قاعدتي المنطق عليها، ليس لأن القاعدتين غير صحيحتين بل لأن مثل هذه المصطلحات غير محددة وقد تطرح أفكاراً لا معنى لها. فعلى سبيل المثال لا يمكن أن نقول إن فلاناً أصلع أو غير أصلع لأن بعض الناس قد يقع في الوسط.

وقد تبدو هاتان القاعدتان واضحتين وعاديتين ولكن تشكلان معاً أساس الاستنباط ومعظم مناهج المنطق الأخرى بما في ذلك القياس والاستنباط. الاستنباط: هو استخدام مقدمتين منطقيتين من أجل الحصول على نتيجة. نقول على سبيل المثال: إن فلاناً إنسان. كل إنسان يموت في النهاية. ولذلك فلان سوف يموت في النهاية. والمنطق بحد ذاته هو أساس التفكير الموضوعي، وبالتالي هو أساس التفكير. ولذلك فهاتان القاعدتان مهمتان جداً للمعرفة.

والمنطق ما هو إلا وسيلة للتفكير الموضوعي، ليس علماً يحتوي على أية معلومات وأيضاً ليس جزءاً من الذكاء، ولكنه ذو قواعد تعصم مراعاتها الذهن عن الوقوع في الخطأ. فالمنطق آلة وقوالب تنتج نوعية ما يصب فيها من معلومات، فهو علم آلي عرّفه أرسطو بأنه آلة العلوم. وعليه سمي المنطق الصوري.

فالمنطق يعتمد كلياً على الأطروحات الأولية التي تبنى عليها الخاتمة. ولهذا فهو يرتب الأفكار والطروحات كآلة الغسيل التي تحرك ما في داخلها، دون إضافة أي شيء من جانبها، بل تقوم فقط بتصفية الغسيل قبل أن يخرج.

والمنطق ليس معارضاً للدين كما تصوره البعض، بل هو مجرد

أداة محايدة يمكن أن تستخدم لصالح الدين (من خلال طروحات صحيحة) أو ضد الدين (من خلال طروحات خاطئة). ولأن قواعد المنطق صالحة وتعكس طبيعة الحق، فهي من هذه الناحية تخدم الدين. وهكذا إن قواعد المنطق إذا استخدمت في العلوم التجريبية قد تساندها أو قد تكذبها، حسب الطروحات الأولية.

فعلى سبيل المثال استخدم إبليس مقدمات باطلة في قياسه، فجاءت نتيجته باطلة: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ سورة الأعراف، ٧:١٢.

وتطابق المنطق مع الدين واضح من التالي: حسب قواعد المنطق، فإما أن توجد الحقيقية أو لا توجد، أو أن يوجد الحق أو لا يوجد، وإن طرح عدم وجود الحقيقة مستحيل لأنه يفترض على الأقل وجود حقيقة واحدة، وهي عدم وجود الحقيقة، وهذا تناقض نفسي فالمنطق بحد ذاته يبين وجود الله سبحانه من خلال الوجود بالضرورة للحق، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ سورة البقرة، ٢:١٤٧.

لقد كان أرسطو الفيلسوف الإغريقي (٣٨٤–٣٢٢ قبل الميلاد) سيد المنطق، وأول من عبر عن مبادئ المنطق وشكل دراسته. وقد كان أرسطو تلميذاً لأفلاطون، ومعلماً خاصاً لملك مقدونيا

إسكندر الذي قال بعض المفسرين إنه هو «ذو القرنين» الذي ورد ذكره في سورة الكهف في القرآن الكريم. وقد آمن أرسطو كأستاذه أفلاطون أن النفس خالدة وأن الله واحد أحد، وأنه خلق كل شيء في الكون، لكنه بعكس أفلاطون لم يأبه بأن يستعين بالميثولوجيا الإغريقية (الخرافات والأساطير) كرموز لأفكاره، بل عبر عن نفسه من خلال شروحات فلسفية بدلاً من الحوارات. وسمى أعماله في المنطق (The Organon) (والتي تعني «الآلة»، فكان يعتقد أن المنطق «آلة». وأسس أرسطو دراسة الكثير من العلوم الطبيعية. ولم يتركا – أفلاطون وأرسطو – علماً أو حقل دراسة لم يطرقاه أو يبحثا فيه – أو حتى سؤالاً مهماً لم يطرحاه، إن لم يجيبا عليه – من علم الكون إلى علم الأحياء، ومن العلوم السياسية إلى علم النبات، ومن الفيزياء إلى الفلسفة إلى اللغويات، إنهما يعدان أبوي الفلسفة والعلوم لدرجة أن قيل إن كل الفلسفة التي تلتهما حتى يومنا هذا ما هي إلا شروحات على أعمالهما.

فكّر:

بأن مالا تدركه حواس الإنسان ليس بالضرورة أن يكون غير مادي، فمثلاً توجد الأسماك في البحار والمحيطات والأنهار – عد

البحر الميت– وأن عدم رؤيتنا لها لبعدها عنّا لا ينفي وجودها. فهي موجودة دون أن نضطر للذهاب إليها ورؤيتها بأعيننا. ولكن الماديين الذين يفسرّون التاريخ تفسيراً مادياً يقعون في أخطاء ومغالطات كبرى، لأن ليس كل شيء يُفسر مادياً.

- أذكر أمثلة مشابهةتشتمل على مقدمات ونتائج.
- أذكر قاعدتي المنطق الرئيسيتين. واذكر أمثلة لكل منهما.
- هل يمكن أن تطبق القاعدتين على المفاهيم غير المحددة؟ وضح إجابتك.

ثانياً: العلوم الإسلامية

منذ البداية شجع الإسلام اكتساب العلم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[١٧]. وطلب العلم يعد من أحسن الأعمال التي يمكن للمرء أن يفعلها في الحياة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

(إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، ص (١٧)، حديث رقم (٢٤٤).

جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[١٨].

حتى المعرفة الدنيوية والتجريبية لم تكن تمنع، بالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر بأن ذلك لم يكن اختصاصه أو من رسالته عندما خاطب أهل المدينة قائلاً: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)[١٩]. ولهذا فإن ضروباً من المعرفة المتنوعة قد تطورت وازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية بطريقة لم يسبق لها مثيل، قال الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا:

«كان العالم الإسلامي في العصور الوسطى، من أواسط آسيا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، عالماً ازدهر فيه العلم والمعرفة والعلماء. ولكن لأن الغرب ارتأى أن ينظر إلى الإسلام كعدو، وكحضارة ومجتمع ونظام وإيمان غريبين، ارتأى أن يتجاهل أو يمحوا ارتباطه بالتاريخ الخاص به. فعلى سبيل المثال، لقد قللنا من شأن ثمانمائة سنة هامة من التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية في إسبانيا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر. إن إسهامات إسبانيا الإسلامية (الأندلس) في الحفاظ على المعرفة الكلاسيكية. خلال القرون المظلمة حتى النهضة

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، ص (٨٥).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ص (٢٣٦٢).

معروفة ومعترف فيها منذ وقت طويل. ولكن إسبانيا الإسلامية (الأندلس) كانت عندئذٍ أكثر من مجرد مخزن حفظت فيه المعرفة اليونانية كي يستهلكها فيما بعد العالم الغربي الحديث. بل لم تجمع المحتويات الفكرية للحضارة الإغريقية والرومانية وتحفظها فحسب، ولكن أيضاً ترجمتها وبنت عليها، وأسهمت بشكل حيوي وفعال في مجالات كثيرة في تطوير كل العلوم، كعلم الفلك، والرياضيات، والجبر (وهذه كلمة عربية)، والقانون، والتاريخ، والطب، والصيدلة، والبصريات، والزراعة، وفن العمارة، وعلم الكلام، والموسيقى. إن ابن رشد وابن زهر، كنظيريهما ابن سينا وأبو بكر الرازي في الشرق، قد أسهموا في دراسة الطب وممارسته بأساليب استفادت منها أوروبا على مدى قرون فيما بعد وحتى هذا اليوم»[٢٠].

وبسبب كل تلك المعرفة، كانت تتميز العلوم الإسلامية بأربعة معالم بارزة، ناجمة عن المبادئ الإسلامية، حتى عندما درست النظريات التجريبية:

١ – لقد تم النهوض بها بالتقوى، بأحد ثلاثة دوافع: إما حب

(١) سمو الأمير تشارلز، أمير ويلز، «الإسلام والغرب» محاضرة ألقيت في مدرج شيلدونيان، أكسفورد، بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٢٧م، ص (١٧–١٨).

العلم، أو من أجل تحقيق معرفة افضل بخلق **الله** ومن خلال ذلك بسنن **الله**، أو من أجل مصلحة البشر (ولكسب الثواب من **الله** على هذا الأمر). ولو كان هناك ربح دنيوي مباشر من وراء هذا العلم فهو خير إضافي فقط.

٢ – لم ينظروا أبداً إلى العالم أو علومهم بمعزل عن **الله** أو عن عالم الغيب أو حتى عن الملائكة، بل كانوا يتذكرون دائماً أن **الله** خلق العالم، ويبقيه، ويستطيع أن يغير مسار أحداثه متى شاء. ثم كانوا يرون الإعجاز جزءاً لا يتجزأ من العالم، وكانوا يرون كل العلوم الدنيوية بإطار تصور شامل للوجود (ويبدأ هذا التصور مع **الله** سبحانه وتعالى وينتهي مع العالم المادي).

٣ – لقد عُد الإنسان دائماً في مقامه النبيل كخليفة **الله** على الأرض، وليس كحدث بيولوجي أو إحصاء في جدول اقتصادي، ولذلك لم تدَّع علوم الطبيعة أنها تستطيع أن تكشف كل أسرار الإنسان، ولذلك وهب كل إنسان إرادته الحرة وبقي موضع الاحترام والتقدير.

٤ – لم يدّع العلماء المسلمون مثل ابن سينا، أنهم يعرفون من خلال ملكاتهم المنطقية فقط، بل كانوا يقرأون القرآن لكونه المصدر الأول لعلم اليقين – وكانوا يدعون **الله** ليرشدهم

ويلهمهم، وكانوا يقومون بالاستخارة – حتى ينالوا الحقيقة في معرفتهم، وحتى يبارك **الله** سبحانه وتعالى في عملهم ويوفقه.

وكل هذا كان يعني عملياً أن العلوم الإسلامية – العلوم في ظل الإسلام – لم تقدم علماً مبنياً على مبادئ خاطئة ولم تضر الإنسان على المدى البعيد في هذا العالم أو في العالم الآخر. يقول الرسول صلى **الله** عليه وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) [٢١]. ولذلك قادت العلوم الإسلامية تاريخياً إلى العلوم الغربية الحديثة مع أنها من ناحية أخرى أسست على مبادئ تختلف تماماً.

- ما المقصود بالعلوم الإسلامية؟ كيف كانت نوعاً من المعرفة؟ ما تأثيرها في الغرب؟
- وضح كيف استفادت العلوم الغربية الحديثة من العلوم الإسلامية.
- كيف نظر الغرب إلى المسلمين وعلومهم؟

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر، ص (٤١).

ثالثاً:العلوم الغربية الحديثة والتكنولوجيا الحديثة

قبل بحث العلوم الحديثة والتكنولوجيا الحديثة يجب أن يلاحظ أنه مما يقارب من ستة آلاف سنة قبل عام ١٨٠٠م، لم تتغير التكنولوجيا كثيراً في الحضارات الرفيعة في العالم: أي أنه كان لدى مصر القديمة (زمن الفراعنة) وسومر القديمة (العراق القديم) قبل ستة آلاف عام كل ما يلزم من النار، والدولاب، والمدن والولايات، والبناء الهائل (مثل أهرامات الجيزة)، والجيوش المجهزة بالمنجنيقات، والرماة، والفرسان، والتنقيب عن المعادن، والقوارب، والصيد، والإبحار، والتجارة الدولية، وتربية الحيوانات الأليفة، والزراعة، والري، والكتابة، والمحاكم المدنية، والطب وعلم الصحة... وهلم جرا. وبطبيعة الحال، عندما تزدهر الحضارات ثم تنهار في مناطق مختلفة وفقاً لدوراتها الطبيعية، فقد تفقد علومها (أو أجزاء منها) ثم يعاد اكتشافها مرة أخرى، ولكنه أمر ذو مغزى أن جيوش الإمبراطور الفرنسي نابليون زحفت في عام ١٨٠٠م عبر العالم بنفس السرعة (إن لم يكن بشكل أبطأ) التي زحفت فيها جيوش إسكندر العظيم قبلهم بألفي عام.

في حوالي القرن السادس عشر، عندما بدأ يضعف الإيمان

بالمسيحية لدى الناس في أوروبا لأسباب مختلفة، ظهرت حركة لدراسة العالم الطبيعي بمعزل عن الدين والمبادئ العليا، ومبنية كلياً على إجراء التجارب المادية، ومراقبة نتائجها وابتكار نظريات باستخدام المنطق، والقياس، والتجربة، من أجل توضيحها.

وكان أول من صاغ رسمياً المبادئ (أو عدم المبادئ) لهذه الحركة العلمانية هو الإنجليزي فرانسيس بيكون (١٥٦١–١٦٢٦م) الذي بدأ لأول مرة بنشر الفكرة: إن التاريخ – وخاصة تاريخ العلوم – لم يكن دورياً كما ورد في الكتب الدينية (بما في ذلك القرآن الكريم)، ولكنه بالأحرى قصة تقدم طولي من «الأسوأ» إلى «الأفضل»، من «التقهقر» و«البساطة» إلى «التقدم» و«التعقيد».

كان أثر نتائج هذا «العلم الجديد» بطيئاً في البداية، إذ استغرق المجتمع وقتاً طويلاً للتغيير، ولكن في نهاية القرن التاسع عشر تم ابتكار تقنيات أوجدت «ثورة صناعية» في بريطانيا وبعض البلدان الغربية الأخرى، بحيث أصبح لدى هذه البلدان تكنولوجيا الكهرباء، والتصوير، والتلغراف، والقطارات، وسكك الحديد، والمصانع، والآلات، والإنتاج الهائل، والسفن البخارية، والأسلحة الثقيلة والمدافع والرشاشات. وإضافة إلى ذلك، فقد استخدموا هذه

الميزات الاقتصادية والعسكرية والاتصالية والنقلية لغزو ثلاثة أربـاع ما تبقى من العالم. وبحلول عام ١٩٥٠م، تضمنت هذه الاختراعات التكنولوجية المذياع، والهاتف، والأفلام، والتلفاز، والسيارات، والطائرات، والقنابل الذرية، والصواريخ، والغواصات، واكتشافات ضخمة في كل فرع من المعرفة العلمية يمكن تصوره، خاصة الفيزياء، وإنتاج الطاقة، والزراعة، والطب. وقبل نهاية القرن العشرين شملت الاكتشافات التكنولوجية الحاسوب، وغزو الفضاء، والإنترنت، والإنسان الآلي، والمواصلات فائقة السرعة، والهندسة الوراثية، ووسائل الاتصال عبر الأقمار الصناعية. وعلاوة على ذلك، أدت هذه الاختراعات إلى ثقافة علمانية شائعة تتبعهم في كل أنحاء العالم، وتداخلت في كل حضارة تقليدية متبقية، وتقضي على أنمـاط الحياة التقليدية كالبداوة. كما انهم غمروا سكان الأرض بمنتجات هذه التكنولوجيا وثقافتها العلمانية مثل الملابس الغربية، والكوكا كولا، والأطعمة السريعة، وموسيقى البوب، وأفلام هوليود، والرياضة الغربية. وفعلت ما هو أسوأ من ذلك، وهو أن تجعل لشعوب العالم إدماناً عليها. وبهذا فقد شهد العالم خلال المئتي عام الماضية تغيرات أكثر مما شهده خلال ستة آلاف عام قبلها، أو حتى ربما منذ خلق الإنسان. وما

زال التغير مستمراً بمعدل أسرع وأسرع. ويعود سبب كل ذلك إلى التقنيات التي كانت ثمرة العلم الغربي الحديث.

وبالرغم من النجاح الهائل لهذه المنتجات، لا يمكن القول إن العلم الغربي الحديث «علم يقين»، لأنه، كما قلنا، لم يكن مبنياً على مبادئ عليا للمعرفة وتقودها – ليس حب الخير للناس وحب المعرفة بسنن الله سبحانه وتعالى في الكون – ولكن شركات ودول كبيرة تهدف فقط إلى زيادة من المال والسلطة. ونظرياتها قائمة على نتائج تجارب مبنية على التجربة والخطأ، كما لو أن أحداً وجد مئة نقطة يمكن وصلها على شكل خط مستقيم فافترض أن هذا الخط كان سبب تلك المئة نقطة. وهذا الأمر يبدو منطقياً جداً، وهو عادة صحيح. فلو لم يكن هذا صحيحاً لما تمكن العلم من اختراع التقنيات التي تعمل بشكل ناجح جداً. ولكن هذا الأمر ليس صحيحاً دائماً. وليس بالضرورة أن يكون صحيحاً: لأن الطبيعة معقدة ولا يوجد سبب يحتم على نموذج ما، ألاّ يبدأ بعمل شيء آخر بعد وجود خط مستقيم من مائة نقطة – أو حتى ألف نقطة – ثم يبدأ بالتعرج، على سبيل المثال.

فلنضرب مثالاً تاريخياً لتوضيح ذلك. يعتبر الإنجليزي آيزك (إسحاق) نيوتن (١٦٤٢–١٧٢٧م) عالمياً أبا العلم الحديث. ومن

بين الأمور التي اكتشفها أو أنشأها هو التفاضل والتكامل (في الرياضيات)، وقواعد الحركة الكونية وأشهرها قاعدة الجاذبية. ولأكثر من مئتي عام بعد نيوتن كان الناس في أوروبا يؤمنون بقوانين نيوتن وكأنها كلام منزل، وكانت تدرس في كل معهد علمي في أوروبا على أنها حقيقة مؤكدة. وقد استخدمت هذه القواعد (ضمن أمور أخرى) للتنبؤ بدقة حركة الكواكب في السماء. ولكن مع بداية القرن العشرين ومع بداية تصنيع تلسكوبات أكثر دقة، لوحظ أن قواعد نيوتن لم تكن صحيحة فيما يتعلق بحركة كوكب عطارد بما يمثل درجة واحدة كل مئة سنة (بمعنى آخر تغير حقيقي ولكن عملياً غير ملحوظ). وقد قاد هذا إلى إعادة نظر شاملة بقواعد نيوتن التي اتضح أنها لم تتضمن حقيقة الأشياء التي كانت إما ضخمة جداً (بحجم الكواكب) أو صغيرة جداً (بحجم الذرة). وبالتالي يتضح أنه لا يوجد علم يقين فيما يتعلق بنظريات العلوم الحديثة كلها، بالرغم من الدليل التجريبي والذي يبدو أنه يثبتها مرة تلو المرة.

فهل العلم الحديث وثماره من التقنيات الحديثة هو أمر جيد أم سيئ بالنسبة للبشرية؟ في صالحها نستطيع أن نقول أنها أنقذت حياة بلايين البشر (من خلال الأدوية والزراعة المحسنة التي

مكنت الأرض من أن تعول بلايين أخرى من البشر). فقد جعلت الحياة بشكل عام أطول، وصحية أكثر، وأكثر غنى، وأنظف، وأكثر راحة، وأسهل، وأقل ألماً، وأكثر حرية وتسلية لمعظم البشر في العالم. وقد جعلت السفر والتنقل ووسائل الاتصال والحصول على المعلومات أسرع وأسهل بشكل لا يضاهى. وضدها نستطيع أن نقول إنها لم تجعل الحياة أكثر أمناً وسعادة. كما أنها قضت على ملايين البشر (في الحروب بواسطة الأسلحة الحديثة). وقد سهلت على بعض الأمم أن تحتل أمماً أخرى. ودمرت غالبية الحضارات التقليدية وأنماط الحياة، واستبدلتها تدريجياً بثقافة أحادية علمانية سطحية شائعة حيث يعتبر المال والسلع المادية هما أهم شيء. وعملت على انتقال معظم الناس من الريف إلى المساكن المكتظة في مدن ضخمة، وشغلتهم بتغيرات مستمرة، واضطرابات، وضجيج، وسلوكيات قبيحة، وارتباك، وآلات وسلع تجارية غير ضرورية. وجعلتهم يشعرون بالضآلة والضياع وعدم الأهمية. كما أبعدت البشر عن الأمور التي تضفي معنى على الحياة: مثل العبادة، والدين، والعائلة، والطبيعة، والشرف، والحب، والصداقة. وقد أربكت الإنسان وحاولت تجريده من حرية إرادته بنظريات بيولوجية وكيماوية ونفسية تتظاهر بأنها تعرف كل شيء عن

الإنسان وأنها تستطيع التنبؤ بسلوكه. وزادت في معدلات الطلاق، والخلافات الاجتماعية، وتعاطي المخدرات، ولإدمان على الكحول، والجرائم، والإكتئاب، في مختلف أنحاء العالم. وساهمت في إحداث فائض سكاني في الأرض، ونهبت الطبيعة، وقضت على كثير من أراضي الطبيعة، والكائنات، ولوثت البيئة، حتى أصبح من غير الواضح الآن إن كان يمكن للحياة على الأرض أن تستمر. وأنتجت أسلحة الدمار الشامل التي يمكن أن تستخدم لتدمير كل البشر وكل شيء على الأرض نهائياً في أي لحظة. وأخيراً، ولعله الأسوأ، أنها لم تجعل الناس أفضل أو أفضل خلقاً، بل على العكس فقد جعلتهم أسوأ وأسوأ خلقاً.

وبالتالي لا يبدو واضحاً في كفة الميزان، إن كانت القوى العظمى للعلم الحديث – إن لم تكن لها حقيقة عظمى – قد حققت خيراً أكثر أم شراً أكثر. ولكنْ هناك أمر واحد واضحٌ، وهو أن الوقت أصبح متأخراً للرجوع بالزمن وإخفاء الابتكارات العلمية.

وواضح أيضاً أن الأمم التي لا تواكب العلم والتقنية الحديثة لا تمتلك الثروة والقوة التي تؤهلها للدفاع عن نفسها ضد اضطهاد الأمم التي تمتلكها. وبالتالي فإن اكتساب العلم الحديث والحصول على التقنيات الحديثة، إذا لم يكن في الأصل أمراً جيداً، فهو

بالتأكيد ضرورة للبقاء، ولهذا السبب واجب على الجميع.

- ((شهدت العشرون سنة الأخيرة عدداً يفوق الوصف من الاختراعات والتكنولوجيا الحديثة مما كان له الشأن في تسهيل كثير من الأمور وتعقيد لبعض منها)). ناقش العبارة أعلاه مستشهداً بأمثلة على كل منها.
- القوى العظمى للعلم الحديث... هل حققت خيراً أكثر أم شراً أكثر؟ (مناظرة، عمل جماعي أو تقرير).
- اذكر أمثلة على مساندة القواعد المنطقية للعلوم التجريبية.

أسئلة الوحدة

١) ما العناصر الرئيسية التي يتكون منها الإنسان؟

٢) ما هي النفس؟ وكيف تختلف في نظر فرويد عنها في نظر أفلاطون؟

٣) اذكر مصادر المعرفة وقارن بينها؟

٤) ما أنواع المعرفة؟ وضح إجابتك بالاستعانة بمقتطفات من القرآن الكريم.

٥) ما طبيعة الحقيقة؟

٦) إذا أتبع الشك بالبحث هل يمكن الوصول إلى الحقيقة؟ علل ذلك.

٧) ما علامات الرؤيا؟

٨) ما شروط الاستخارة؟

٩) قارن بين الإرادة وحب شيء ما عند الأشرار، وعند الصالحين من حيث خير الأشياء وشرها.

١٠) حدد درجات الدين الثلاث الواردة في سؤال جبريل للنبي.

١١) وازن بين اليقين بدرجاته الثلاث والدين بدرجاته الثلاث؟ وعلل إجابتك.

١٢) هل يعتمد الإيمان على الذكاء فقط؟ وضح إجابتك.

١٣) اذكر قاعدتي المنطق الرئيسيتين. واذكر أمثلة على كل منهما.

١٤) اذكر أمثلة مشابهة على مقدمات ونتائج صحيحة وخاطئة.

١٥) هل يمكن أن تطبق القاعدتين على المفاهيم غير المحددة؟ وضح إجابتك.

١٦) اذكر مثال على إبطال القواعد المنطقية للعلوم التجريبية.

١٧) ما هو المقصود بالعلوم الإسلامية؟ كيف كانت نوعاً من المعرفة؟ ما تأثيرها على الغرب؟

١٨) وضح كيف استفادت العلوم الغربية الحديثة من العلوم الإسلامية.

١٩) شهدت العشرون سنة الأخيرة عدداً يفوق الوصف من الاختراعات والتكنولوجيا الحديثة مما كان له شأن في تسهيل كثير من الأمور وتعقيد لبعض منها. ناقش العبارة أعلاه مستشهداً بأمثلة على كل منها.

٢٠) القوى العظمى للعلم الحديث... هل حققت خيراً أكثر أم شراً أكثر؟ ناقش ذلك.

ARABIC SERIES - BOOK 5